الـــدعـــابـــة فـــي الشعـــر البـــــدوي
عصر صدر الاسلام والعصر الأموي

أ . د . نضال ابراهيم ياسين العنـــبر
جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

المستخلص:

يهدف البحث الى تتبع ودراسة شعر الدعابة والمرح في البيئة البدوية ، عند الشعراء البدو في العصر الاسلامي ، والكشف عن الجانب اللاهي المرح في المجتمع البدوي الذي يبدو مجتمعا صارما متجهما يؤثر الجدية ، ويجيد التعبير عن خشونة الحياة وصعوبة العيش نظرا للظروف الصارمة التي يعيشها الانسان في البادية ، ولكن نظرة متفحصة في شعر البوادي تجلي عن روح مرحة ، وسرعة بديهة ، وامكانية تعبير هازلة لجوانب الحياة المتنوعة من حوله ، ومن هنا سعى البحث الى الكشف عن الدعابة في النصوص الشعرية البدوية . لقد اتخذ البحث منهجا للكشف عن ذلك منطلقا من تتبع النصوص الشعرية من خلال موضوعاتها وماتحمله من مضامين منها : الدعابة في شعر الهجرة والجهاد ، والدعابة في الخصومات الزوجية وفي قبح الزوجات ، وفي البخل والبخلاء ،وفي سذاجة البدوي ورقة دينه . ثم الوقوف على نتائج البحث وماتوصل اليه الباحث . وخلاصة ماتوصل اليه البحث أن الدعابة البدوية جاءت بسيطة غير متكلفة تناسب بساطة الحياة البدوية ووضوحها متخففة من تعقيدات الحياة الحضرية بما تحمل من صراعات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: الدعابة ، الشعر البدوي ، عصر صدر الاسلام ، العصر الأموي.

Humor in Bedouin Poetry

Prof. Dr. Nidhal Ibrahim Yasin Al-Anbar
University of Basrah, College of Education for Human Sciences, Dept. of Arabic Language

Abstract

This study aims to explore and investigate humorous and light-hearted poetry within the Bedouin context, particularly among Bedouin poets during the Islamic period. The objective is to reveal the light-hearted and cheerful elements of Bedouin culture, which is frequently viewed as strict and grave, prioritising seriousness and skilfully expressing the stark truths of desert life. Upon further examination of Bedouin poetry, one discovers a lively essence, keen intelligence, and the ability to convey humour about the diverse experiences of life. This study aims to clarify the role of humour within Bedouin poetic texts. The study utilised a methodology to clarify this by examining poetic texts according to their themes and intrinsic content, which included: humour in migration and jihad poetry, humour in marital conflicts and the perceived shortcomings of wives, humour in miserliness and miserly individuals, as well as humour in the simplicity of the Bedouin and the gentleness of his faith. The conclusions are derived from the findings of the study conducted. The study finds that Bedouin humour is direct and modest, mirroring the simplicity and authenticity of Bedouin life, free from the intricacies and tensions found in urban environments.

Keywords: Humor, Bedouin poetry, early Islamic era, Umayyad era.

الــدعــابــة فــي الشعــر البـــدوي عصر صدر الاسلام والعصر الأموي

مدخل :

يبدو أنَّ الادب العربي ولاسيما الشعر حافل بالمرح والدعابة في بيئاته المتعددة ، البدوية منها والحضرية ، وفي عصوره كلها ، وفي البيئة البدوية لعصر بني أمية وجدنا أنَّ الشعر يحوي أنماطا من الدعابة وروح المرح والفكاهة ، بل أنَّ أكثر الشعر طرافة ذلك الذي قاله الشعراء الأعراب ، أو الشعراء الذين قضوا شطرا من حياتهم في البادية ، إذ أكسبتهم البيئة البدوية سرعة البديهة ، وخفة الروح ، وسذاجة التعبير ، و أضفت على شخصياتهم شيئاً من الجفاء والخشونة التي لم تتناسب والأجواء الحضرية الجديدة في المدن مما سبب نشوء نوع من المفارقات أساسها التناقض بين البيئتين بدا أثرها واضحاً في حالة الهجرة الى المدن والحواضر والاقامة فيها لأغراض : الحرب والجهاد أو الرحلة للتبضع والتجارة أو الزواج وغيرها ، ويبدو أنَّ انشغال البدوي بالحياة اليومية واالبحث عن أسباب العيش قد أعاقهم عن إدراك الجوانب الروحية للحياة ، فجاء إدراكهم للدين بسيطاً ساذجاً ، وإقامتهم للفروض ، وتطبيقهم للشرائع سطحيا كشف عن جهلهم وغفلتهم عن هذه الجوانب من الحياة ، وكان هذا مدعاة لنشوء كثير من المفارقات الطريفة عند أول تماس يحدث بين البدوي وأي مظهر من مظاهر التحضر في المدن .

انّ الدعابة التي ظهرت في شعر االبادية أو عند الشعراء البدوغالباً عفوية خالية من التعقيد متخففة كثيرا من هموم الحياة الحضرية بما فيه من صراعات سياسية واجتماعية ، وإنْ كان لهذه الافرازات والهموم دور في افراز نوع نوع آخر مختلف من الفن الهزلي هدفه النقد اللاذع لبعض انحرافات الأحداث والشخصيات لغرض الكشف عنها ورفضها وتعريتها بأسلوب ساخر هازل كما في بيئة العراق والحجاز واالشام .

إنَّ حديث المرح والدعابة أو الهزل في شعر البدو إنّما هو ظاهرة متأصلة فيهم ، والحديث مستفيض فيه ، وقد اهتمَّ رواة الأدب العربي القدامى بدعابات الأعراب ونوادرهم ، وأظن أنَّ بعضا من اهتمامهم هذا نابع من دفاعهم عن العرب ، ومحاولة الحفاظ على مكانة العربي أمام التيارات الشعوبية فيما بعد ، والتأكيد على أنّ الشخصية العربية البدوية ترتفع الى مصاف أرقى الناس فكرا، وأكثرهم نباهة وذكاء ، وقد كانت لذلك دواعيه في عصر الحركة الشعوبية ومحاولات غير العرب من الأعاجم للإنتقاص من أقدار العرب (١) ولا نستبعد أنْ تكون بعض بعض النوادر التي يبالغ أصحابها في إظهار حماقة الأعراب ، وغفلتهم ، وبلادتهم قد وضعها الأعاجم والموالي فيما بعد للانتقاص من العرب ، والتقليل من شأنهم ، كما ذهب أحـد الدارسين (٢) .

ولكن ومع الاعتزاز بالآراء كلها هذا لاينفي أنّ الاعراب أصبحوا موضوعاً للتندر منذ أنْ نشأت المدن والحواضر ، واستقر فيها الانسان العربي ، وبدأ يتحضر ، ويتخلص شيئاً فشيئاً من حياته البدوية السابقة ، وبدت له أساليب جديدة في العيش والتصرف والتحدث تتناسب مع الأجواء الجديدة ، وتختلف عما ألفه في الصحراء ، والذي ظل يتمثل في أبناء البادية الدين كانوا يترددون على الحاضرة ، وقد أصبحوا موضع تندر في لغتهم ، وصراحتهم ، ونظرتهم االسطحية للحياة ، وتبرمهم بالأوامر والنواهي الاسلامية ورقة دينهم ، وسعيهم الى الانعتاق من قيود الدين الجديد . هذا نمط من دعابة البدوي وظرفه ، وهناك نمط آخر نابع من قدرتهم على التندر والظرف بامتلاكهم موهبة ، وذكاء، وبديهة حاضرة سريعة ساعدتهم على التعبير المرح ، وخلق النكتة ، وصياغة الكلام بأسلوب يبعث على الضحك ، ويحلق عنصر التشويق عند السامع . وعلى هذا الاساس يمكن أن نميز من الدعابة البدوية نوعين هما :

مجلة آفاق البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

١- مايقوله البدوي بدافع من سذاجته ، وسجيته ، وعندها لايعد هذا النوع من دعابات وفكاهات الاعراب التي صنعها الاعرابي عن عمد ، إنما كان فيها موضع للتندر بسبب غفلته ، وسذاجته ، وصراحته ، وسرعة غضبه ونزقه ، ويمكن القول : إنّ هذا النوع من التندر والمرح هو كل فعل أو قول أو تصرف يبديه الشخص من دون قصد الإضحاك ، إنّما بدافع من غفلته وجهله ، ولا شك أنَّ جهل ذي الغفلة بغفلته هو الذي يضاعف ضحكنا منه لأننا نعرف مابه وهو لايعرف ما بنفسه ، وكما يقول برجستون يستخدم طاقية الاستخفاء بطريقة معكوسة ، فإذا هو يحتجب عن نفسه ويبين للناس كافة . (٣)

٢- ما يقوله بدافع من فطنته وذكائه وروحه المرحة ، وهو ما عُدَّ من فكاهات البدو المقصودة للتفكه والتندر والمرح ، وقد ساعدته على ذلك قدرته على التعبير المرح ، ورغبته في إشاعة الجو المرح الهازل في جانب من جوانب الحياة . وسنحاول في هذا البحث ايراد بعض جوانب المرح والدعابة في الشعر البدوي من خلال موضوعات مختلفة بعضها تقليدية وأخرى أوجدتها ظروف الحياة الجديدة في العصر الأموي ، كالهجرة الى الحواضر ، والفتوحات الإسلامية التي بموجبها فُرض القتال على العرب المسلمين في الحواضر والبوادي .

أولا : ما قيل في الهجرة والجهاد

وأول مايطالعنا من هذا الشعر ذلك الذي يعبر عن رأي البدوي في الجندية والقتال ، فقد تذمر البدوي من القتال ورفض الالتحاق بالجند المتوجهين الى أماكن نائية خارج الجزيرة العربية بعيدة عن الصحراء ، ويبدو أنّ عهد ولاية الحجاج قد شهد حملة شاملة ملزمة تجبر الجميع للتوجه للمشاركة في القتال والفتح ، و أنّه وضع حدوداً صارمة ، وعقوبات لمن يتخلف عن إداء الواجب ، وهذا ماجعل البعض ولاسيما البدوي يتذمر من ذلك الفرض ، ويبدي ذلك في ماقال من شعر ، وهذا غوية بن سلمى يبدي خوفه من الحجاج ، ورغبته في التواري عنه كي لا يزج به مع المقاتلين ، فيتمنى هذه الأمنيات الغريبة ، إذْ يقول: (٤)

وددتُ مخافةَ الحجاج أنّي بكابلَ في إستِ شيطانٍ رجيم
وددتُ مخافةَ الحجاجِ أنّي من الحيتانِ في بحـرٍ أعـوم

والغطمش الضبي يضيق بحياته في الرّي بعيداً عن أهله ، ويعلله اصحابه بالتصبر حتى ينال العطاء ، فيرفض كل هذا ، ويتمنى لو قُسّم عطاؤه بين الجند ، ولو كانت ناقته ضلت طريقها يوم خرج من الصحراء ، و يرفض أن يجعل نفسه عدلاً للأعلاج ، فيقول : (٥)

يقولونَ صبرا واحتسبْ قلتُ طالما صبرتُ ولكن ما أرى الصبرَ ينفعُ
فليتَ عطائي كان قُسّما بينهم وضلّتْ بيَ الوجناءُ بالدّو تضبعُ
أأجعلُ نفسي عِدلَ عِلْجٍ كإنّما يموتُ به كلبٌ إذا مات أجمـعُ

ويقول بدوي آخر من بني حمّان وقد التحق بجند الثغور : (٦)

أأنصرُ أهلَ الشامِ مِمنْ يُكيدهم وأهلي بنجدٍ ساءَ ذلك من نصرِ
براغيثُ تؤذيني إذا الناسُ نُوّموا وبقٌ أقاسيه على ساحل البحرِ
فإنْ يَكُ فرضٌ بعدها لا أعُدْ له وإنْ بذلوا حُمرَ الدنانيرِ كالجمرِ

العدد 2 – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

والمفارقة الطريفة تكمن في تصوره الساذج للقتال ، فهو حين يذهب للقتال إنّما يذهب لنصرة أهل الشام ، فساء ذلك من نصر سبّب له الهزال والضعف ، ووخز البراغيث والبق ، وعليه فقد قرر أن لا يعود الى فرض القتال وإن بذلوا له حمر الدنانير ، لقد قلب هذا البدوي الموازين إذ أعطى صوراً أخرى للجهاد غير صورته الحقيقية ، مما خلق نوعاً من التناقض بين الصورتين . ويقترن القتال عند البدوي غالبا بوخز البراغيث ، وقلة النوم والأرق في تلك الأماكن البعيدة عن الأهل والأوطان ، وهذا نابع من مقت البدوي للقتال ، وتذمره من المكوث بعيداً عن الصحراء لوقت طويل في مدن بعيدة ، ومختلفة عما ألفه في بيئته البدوية . وهذا أبو الرّماح الأسدي يشكو تطاول ليله بالفسطاط ، ولم يكن كذلك بحنو الغضا . يقول : (٧)

تطاولَ بالفسطاطِ لَيلي ولم يكنْ بحِنو الغَضا ليلٌ عليّ يطولُ
يؤرّقُني حدِبٌ صغارٌ أذلـةٌ وإنّ الذي يؤدينَهُ لذلـيلُ
إذا جلتُ بعضَ اللّيلِ منهنَّ جولةً تعلقنَ بي أو جِلْنَ حيثُ أجولُ
إذا ما قتلناهُنَّ أضعفْنَ كثرةً علينا ولا يُنعَى لهنَّ قتيـلُ
ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً وليس لبرغوثٍ عـليّ سبيلُ

لقد أرقته البراغيث بوخزها له من كل حدب وصوب يتبعنه أينما ذهب ، فإنْ جال جلن معه حيث يجول ، وإنْ قتلهن تضاعف عددهن ، وزدن في إيذائه ووخزه ، وينهي الشاعر شكواه من البراغيث بأمنية وهي أن يهنأ بنوم ليلة وليس للبراغيث عليه سبيل. وهذا أعرابي آخر يصور معركته الحامية مع البراغيث ، إذْ قضى أيامه بالبصرة في حك وتهراش من وخز براغيث أفقدته النوم ، فهو في حالة كر وفر معها ، يتقلب على الفراش في حركة مستمرة يرفع جنبه تارة متحاشيا وخزها وخمشها ويعيده تارة أخرى ، ومع بلائه بالبراغيث فقد ابتلي بزوجة دائمة العراك تظل يومها تغلي كالمرجل ، تأكل مايجمع بشراهة وهي لاتقل أذى وشراهة من البراغيث ، يقول : (٨)

ظللتُ بالبصرةِ في تهـواشِ
وفي براغيـثٍ أذاها فـاشي
من نافـرٍ منها وذي اهتماشِ
يرفعِ جنبَيـيّ عن الفـراشِ
فأنا في حكّ وفي تخراشِ
تتركُ في جنبيّ كالخراشِ
وزوجةٍ دائـمةِ الهـراشِ
تغلي كغَلْي المرجل النشّاشِ
تأكلُ ماجمعتُ من هبـاش
بلْ أمٌ معروفٍ خَمُوش ناشِ

وتبدو الدعابة في وصفه الدقيق لما تفعله البراغيث معه فضلا عن زوجته التي أعانتها على ايذائه وتسهيده، وقد كان حرف الشين رويا مناسبا أبدع في اختياره لإفشاء روح المرح والدعابة . ويفضل البدوي حياة البادية على حياة المدن والامصار ، ويعمد الشعراء البدو أحيانا الى إبراز جانب المقارنة بين الحياة في البيئتين بدافع حبهم للحياة البدوية ، وتمسكهم بها ، وتفضيلها على حياة الحاضرة ، وغالبا تأتي هذه المقارنة في إطار من الدعابة والمرح بما تحويه من جوانب مبالغة وتحامل لذم المدن وأهلها . وهذا أحد الأعراب يهجو الحضري ويمدح البدوي – وقد بدت موجة الهجرة من البادية الى الحاضرة مع بداية عصر الاسلام – محاولا إيجاد أوجه مقارنة لصالحه بأسلوب لايخلو من المرح والتندر ، يقول : (٩)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

جَوّابُ بيداء بها عــزوفُ

لا يأكلُ البقلَ ولا يَـــريفُ

ولايرى في بيتهِ القلـــيفُ

إلاّ الحميتُ المفعمُ المكشوفُ

للجارِ والضيفِ إذا يضــيفُ

والحَضَريُّ مبطنٌ معــلوفُ

أعــجَبُ بيتيـه لـهُ الكنيفُ

أو طايــةٌ مبقلــةٌ وســيفُ

فالبدوي لايكثر من الطعام ، ولا يخزنه في بيته إلا قوت يومه، وكل مالديه من طعام مكشوف للجار والضيف ، أما الحضري – وفي صورة هازلة تبعث على الضحك – فهو مبطن (كبير البطن) لا هم له سوى الأكل وهو معلوف كما تعلف الدواب . والبدوي يفضّل حياة الجدب والفاقة في الصحراء على حياة اليسر والدعة في المدن ، وهذه الأعرابية تلوم والدها وتدعو عليه ،لأنّه زوّجها من حضري فانتقلت معه الى الحاضرة فلم يعجبها أهل الحضر ، فقد أكلوا المرق والخل ، وذلك بغيض لديها ، وأزعجها ديك يصيح عند رأسها فيوقظها ، تقول صعبة من بني عامر : (١٠)

وقالوا كُلي الطُفشيلَ ياصعبُ تَسمني وشَحمي على الطفشيلِ شحمٌ ممانعُ

وما أنا والطفشيل والخَل والقرى وديكٌ على رأسي من الليلِ صائحُ

فما لأبي لا أحسنَ اللهُ رفــدَهُ وقامتْ عليه المعولاتُ النــوائحُ

وكثيرا ما يضيق االبدوي بحياة المدن فيحن الى البادية على مافيها من جوع وحرمان ، وحنين هذا البدوي من نوع غريب أشبه بالمزحة والنادرة ، فقد أقام في الحاضرة زمنا فاشتاق الى البادية فقال : (١١)

أقولُ بالمصرِ لمّا ساءَني شَبعي ألا سبيلٌ الى أرضٍ بها جوعُ

ألا سبيلٌ الى أرضٍ بها غَرثٌ جوعٌ يُصدّعُ منهُ الرأسُ برقوعُ

وأسلوب الشاعر في البيتين أسلوب الجد الذي يراد به الهزل ، فهو يرى أنّ مكوثه بالمصر حيث الشبع والعيش الرغيد أضرَّ به لذلك سعى الى أرض يجوع فيها ويعرى ، وجعل ذلك أمنية لا تتحقق له إلا في البادية حيث يجد مبتغاه وهو جوع شديد يتصدع منه الرأس ، لقد حقق الشاعر في أبياته ضرباً من الدعابة الباعثة على الضحك ومبعثها هذا التنافر الحاصل بين ماهو منطقي وآخر غير منطقي وهذا التناقض خلق نوعاً من المفارقة المرحة

ثانيا : ما قيل في قبح الزوجات .

كانت للحياة الزوجية نصيب من شعر الشعراء سواء في الحواضر أم البوادي ، تحدث الشعراء من خلاله عن زوجاتهم متندرين احيانا وجادين أحياناً أخرى ، والشعراء البدو كان لهم نصيب من ذلك وسوف نركز في حديثنا هنا على الجوانب الهزلية المرحة في وصفهم لزوجاتهم ، فقد تندر الشعراء البدو فيما يخص الشعر الخاص بالزوجات ، فمازحوهن ووصفوا قبحهن ودمامتهن وكبرهن ، وشراهتهن ، وسلاطة ألسنتهن ، ودوام مشاكستهن وعراكهن لهم ، كل ذلك باسلوب طريف مرح نستبعد ان يكون هجاء بقدر ما هو مزحة أو دعابة غرضها الاضحاك.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد ٥٠ – حزيران لسنة ٢٠٢٥

العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

وأول مايطالعنا من هذه الصور وصف الزوج لقبح زوجته ، ورصد وتقصّي عيوبها بشكل يبعث على الضحك ، ولعل رائد الشعراء الى ذلك الشاعر حميد بن ثور الهلالي ، فقد اعتمد تصويرا كاريكاتيريا مضحكا في وصفه لأم مالك ، إذ يقول : (١٢)

لقد ظلمتْ مرآتَها أمُ مالكٍ بما لاقـتِ المرآةُ كان مُحرّدا
أرتْها بخدّيها غُضوناً كأنّها مَجرّغصون الطلحِ ما ذُقنَ فدفدا
رأتْ مَحجرا تبغي الغطاريفُ غيرَهُ وفَرعا أبى إلاّ انحداراً فأبعـدا
وأسنانَ سوءٍ شاخصاتٍ كأنها سوامُ أناسٍ سارحٌ قد تبــددا

فقد تحدث عن ظلم أم مالك لمرآتها إذْ لم تَلقَ جمالاً لتظهره بل قبحاً وتشويهاً على غير ماكانت تود وتتمنى ، فقد أرتها تجاعيد أشبهن آثار غصون الطلح على الأرض ، ومحاجر أعين قبيحة على غير مايريد الرجال ، وشعراً شعثاً متنافراً غير منسدل ، وأسناناً متباعدة كأنها قطيع سارح في كل صوب ، يلاحظ أنّ الأبيات عبارة عن لوحة مزدحمة بالصور الطريفة التي اعتمد الشاعر الدقة في تصويرها واظهار موضع القبح عند هذه المرأة بما ساهم في إبراز عناصر القبح بشكل لايخلو من دعابة وهزل ، وكثيرل ما اتخذ الشعراء من عيوب الخلقة منطلقا للتندر بزوجاتهم ولرسم الصور الهازلة لهن ، وهذا جران العود النميري يقول واصفا قبح زوجته : (١٣)

من كانَ أصبحَ مسروراً بزوجتهِ من الأنامِ فإنّي غيرُ مسرورِ
كأنّ في البيتِ بعد الهَدْءِ راصدةً غولاً تصّورُ لي في كلّ تصويرِ
شوهاءُ زرقاءُ مسنونٌ أظافرها لم تلفَ إلاّ بشعرٍ غيرَ مضفورِ
مشؤمةُ الوجهِ نَحسٌ ما تفارقُهُ كأنّها دبقةٌ في ريشِ عصفورِ
كأنّني حينَ ألقى وجهَها بكراً أهوى الى الليل يومي ذاك في بيرِ

فهو لم يعرف السرور منذ تزوجها ، وكيف يعرفه وقد عاش مع الغول في قبح شكلها ، وسوء طبعها ، فهي شوهاء زرقاء شعثاء، وفوق هذا شؤم لمن يعاشرها ، لا يكاد النحس يفارقها بل لصق فيها كما يلصق ريش العصفور في دبق ، والاصطباح بوجهها يجعل يومه كله هماً ونحساً ، ويلاحظ أنّ المبالغة في رسم الصور للزوجة كان عاملاً مهماً في اضفاء طابع الإضحاك والجو المرح على الأبيات . ومرة أخرى يتفكه جران العود في وصف قبح زوجتيه ، ويبالغ في ذلك إذْ يقول : (١٤)

لو يعلمُ الغرماءُ منزلتيهما ما حلّفوني بالطلاقِ العاجلِ
لا حلوتانِ فتُهوَيا لحلاوةٍ تشفي النفوسَ ولا لدلٍّ عاسلِ
قد مَلتا ومللتُ من وجهيهما عجفاءُ مرضعةٍ ونقضة حائـلِ

يقول جران العود في قبح زوجتيه: لو علم غرمائي – المدين لهم – بقبحهما لما حلّفوني بالطلاق فما أسهله وأيسره عليَّ مع زوجتيّ القبيحتين اللتين أتحين الفرصة للخلاص منهما ، فلم تحويا حلاوة تشفي النفوس ، ولا دلاّ تعوضان به قبحهما . ويبدو لي أنّ كثيرا من الشعر الذي قيل حول الزوجات والحياة الزوجية بشكل عام إمّا هو من نوع المداعبات والمزح المتداول بين الاصدقاء والأقران يعبر عن الألفة بينهم يتداولونها في أوقات معينة لجلب السرور والترويح عن النفس ، وربما لإظهار المقدرة على صنع الدعابة والمزحة ، والكشف عن الجوانب المرحة في شخصياتهم ، ولا يُستبعد أنَّ معظمها كان يُنظم في حينه ارتجالاً ، والدليل على ذلك ورود بعضها ضمن أبيات محدودة ومقطوعات مضطربة في بعض الأحيان لوجود الإقواء أو بعض الزحافات والعلل – التي تجاوزناها هنا تقريبا – والتي قد لا نلمحها في الشعر المتأني الذي يجتهد صاحبه في نظمه والعناية به ، وقد يعبر

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

هذا الشعر عن مهارة في التعبير ، وقدرة على الابتكار والابداع في شخصية الشاعر البدوي بعيدا عن الجد والجفاء والغلظة . وهذا عروة الرحال يضيق بزوجته فيتخذ سبيلاً للخلاص منها حين قيل له أنَّ حُمّى دمشق سريعة في موت النساء ، فحملها الى هناك وقال : (١٥)

دمشقُ خذيها واعلمي أنّ ليلةً تمرّ بعودَي نعشِها ليلةُ القَدْرِ
شربتُ دماءً إنْ لم أرُعْكِ بضربةٍ بعيدةِ مهوى القرط طيّبةِ النشرِ
أمالكِ عمرٌ إنّما أنتِ حيّةٌ إذا هي لم تُقتل تعشْ آخرَ الدّهرِ

فالليلة التي تموت فيها تساوي عنده ليلة القدر ، وهي في بركتها خير من ألف شهر ، ولنا أنْ نتصور المبالغة الطريفة التي اختارها الشاعر لرسم هذه الصورة ، ويلاحظ أنَّ المبالغة في البيت الأول ساهمت في إبراز الجانب الطريف من الفكرة ، فقد جعل ليلة موتها بمنزلة ليلة القدر بركة وخيراً عليه ، وهذه مفارقة أساسها جمع المتناقضات ، وعدها بمقام واحد ، وهو بعد هذا يقسم أنْ يؤدّبها بضربة حسناء مكتملة الأوصاف ، ويبدو أنَّ اتخاذ الضرات كانت وسيلة الأزواج لتأديب زوجاتهم ومعاقبتهن منذ ذلك الحين ، وفي ذلك يقول جندل بن المثنى الطهوي يخاطب امرأته ، ويبدو نادماً لأنّه لم يلحقها بضرة ويخشى أنْ يُقبَر ولم يفعل ذلك، يقول : (١٦)

لقد خشيتُ أنْ يقومَ قابري
ولم تمارسك من الضرائر
ذات شذاةٍ جَمّةِ الصرائر
حتى إذا أجرسَ كلُّ طائر
شنظيرةٍ سائلةِ الجمائر
توفي لك الغيظَ بجُدٍّ وافر
حتى تعودي أخسر الخواسر
ثُمَّ تعاديكِ بصُغرٍ صاغر

والمعروف أنَّ تصوير ووصف مايجري بين الضرات من عراك وسباب ، وضرب ، وتقاذف بالألفاظ امر فيه شيئ من الدعابة والمرح . ويضيق البدوي بالمظاهر والتقاليد الحضرية ، ويؤثر الحرية والانطلاق والبساطة في كل شيئ والانغتاق من كل ما يحد من حريته ، ويجعله مقيماً لا يبرح ، وإنْ هيأوا له كل المغريات ، يروى أنَّ أعرابيا قدم الى البصرة فتزوج ، فلما دخل بها وأرخيت الستور ، وأغلقت الأبواب عليهما ضجر الأعرابي ، وطالت ليلته حتى إذا أراد الخروج مُنعَ من ذلك ، وقيل له : لا ينبغي لك انْ تخرج إلا بعد سبعة أيام ، فقال : (١٧)

أقولُ وقد شدوا عليها حجابَها ألا حبّذا الأرواحُ والبلدُ القفرُ
ألا حبذا سيفي ورحلي ونمرقي ولا حبّذا منها الوشاحان والشَذرُ
أتوني بها قبلَ المُحاق بليلةٍ فكانَ مُحاقــاً كلّهُ ذلك الشهرُ
تسائلُني عن نفسِها هل أحبُّها فقلتُ : ألا لا والذي أمرُهُ الأمرُ
تفوح رياحُ المسكِ والعطرِ عندَها وأشهدُ عندَ اللهِ ماينفعُ العطرُ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

وسخر الأعرابي من ملامح الكبر والشيب وظهور التجاعيد وبياض الشعر على ملامح الزوجة فكانت مثاراً للسخرية وباباً للتندر والفكاهة ، وهذا أعرابي اسمه (جهم) خُدع في أمرأة تزوجها من بني فقعس اسمها قمامة ، فباع إبله ودفع مهرها ، فلما دخل بها وجدها عجوزاً فقال أبياتا طريفة يعبّر عن بلواه فيها ليهوّن على نفسه شرّ ما أصابه من ذلك الزواج يقول : (١٨)

وما لمتُ نفسي مُذْ فُطمتُ بلحيةٍ كما لمتُ نفسي في عجوزِ بني شمسِ

فبانتْ – ولم أُغبنْ – غداةَ اشتريتُها وبعتُ تـلادَ المالِ بالثمنِ البخسِ

فإنْ ماتَ جهمٌ غيلةً فاقتلوا بهِ قمـامةَ إنّ النفسَ تُقتل بالنـفسِ

وقصد التندر واضح في الأبيات ، وفي البيت الثالث إذْ يقّدر لنفسه أن يموت غيلة ، وهذا تعبير فيه مايوحي بذلك ، إذ ليس به ما يعاني منه سوى مصيبته بقمامة ، وهذا ماجعله يتوقع أنْ يداهمه الموت غيلة ، ثم يعلن بعد ذلك انّه إنْ مات فإنَّ قمامة هي التي قتلته ولابد أنْ يُقتصَّ منها كما ينصّ الشرع ، فالنفس تُقتَل بالنفس ، والدعابة هنا طريقة التهويل وإظهار الأمر بهذا الشكل إذْ جعل من الحدث الهيّن أمراً جللاً عظيماً فاستحضر القتل العمد وقصاصه واستحضر الأحكام الشرعية ، ويلاحظ أنَّ فكرة القتل العمد من جانب المحبوبة في الغزل قد تكون مُحبّبة كما جاءت على لسان الشعراء العشاق ، فالحبيبة تقتل بجمالها وصدها ودلالها، ولكن حين تنتقل الفكرة الى إظهار القبح والتضجّر من الزوجات تصبح مختلفة تماماً ، وتصبح مجالاً للتندر والمزح ، وقد نلتمس ذلك حين نقارن الفكرة بين الحالتين لنتبين التناقض الطريف بينهما ، فمن ورودها في الغزل قول المجنون : (١٩)

أيا حبَّ ليلى عافِني قد قتلْتني وكيفَ تعافيني وأنتَ تزيدُ

وقول جميل : (٢٠)

عشيةَ قالت في العتابِ قتلتَني وقتلي بما قالتْ هناك تحاولُ

وقوله ايضا : (٢١)

خليليَّ فيما عشتُما هل رأيتما قتيلاً بكى من حُبّ قاتلهِ قبلي

وهذا أعرابي آخر يضيق بقبح زوجته وكبرها ، إذْ قد مضى عليها زماناً فلم تعد تصلح لشي، هكذا يراها هو ، ولكنها ترى نفسها أجمل وأحسن النساء ، وهذه مفارقة طريفة قوامها التناقض بين الادراكين ، إدراك الزوج لها وادراكها هي لنفسها ، يقول : (٢٢)

رُزقتُ عجوزاً قد مضى من شبابِها زمانٌ فما فيها لذي اللّبس ملبسُ

ترى نفسَها زَيناً وليستْ بزينةٍ إذا رَدَّ فيها طرفـهُ المتأيـّسُ

لها رُكبتا عنزٍ وساقا نعامةٍ وكاهلُ حرباءٍ بـدا يتشمسُ

وعينٌ كعينِ الضبّ في ضمنِ تلعةٍ ووجهٌ لها مثلُ الصّلايةِ أملسُ

ولنا أنْ نرسم صورة لتلك المرأة بعد جمع عناصرها (ركبتا العنز ، وساقا النعامة ، وعين الضب ، وكاهل الحرباء) فتتشكل صورة قبيحة مضحكة فيها مافيها من الظرف والدعابة ، ولعلَّ الصورة تصبح أكثر ظرفاً إذا ما استحضرنا وصف امرئ القيس لفرسه حين رسم صورة عناصرها مختارة بعناية لإظهار محاسن فرسه من القوة والرشاقة والجمال ، فقال : (٢٣)

له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تتفُلِ

ولكن بعض تلك العناصر عينها لا تصلح لوصف المرأة ، إلاّ في حال تعمد رصد عيوبها بشكلٍ كاريكاتيري مضحك كما فعل هذا الأعرابي ، أمّا تشبيه الشاعر عينها بعين الضب فجاء متفردا غريبا مناقضا لما هو متعارف عليه عند الشعراء ، وما اعتدنا أن نسمعه في وصف عيون النساء من شعراء الغزل ، فقد شبهوها بعيون الغزال ، والبقر الوحشي ، والريم ، والجآذر وليس الضب ،

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

وكأنَّ الشاعر أراد أنْ يأتي بكل ماهو شاذ مخالف للمالوف ليصنع الدعابة بإحكام ومهارة . وهذا البدوي – ولعله عروة الرحال – كما نُسبَ في بعض المصادر يضجر من طول حياة زوجته فيعبر عن ذلك بأبيات لاتخلو من دعابة إذْ يقول : (٢٤)

ثلاثينَ حولاً لا أرى منك راحةً لهنّك في الدنيا لباقية العـمرِ

فإنْ أنفلتْ من حبلِ صعبةَ مرّةً أكُنْ من نساءِ الناسِ في بيضةِ العقرِ

فضيقه بحياته معها جعله يأخذ عهدا على نفسه أنْ لا يعاود الكرّة مرة أخرى إن كتب الله له الإفلات من حبال صعبة ، ومثله في ذلك كمثل بيضة العقر التي لاتكون إلا لمرة واحدة .

ثالثا : ماقيل في وصف الخصومات الزوجية .

تناول الشعراء البدو خصوماتهم مع زوجاتهم بالوصف ، وأبدعوا في وصف الصور المرحة والمضحكة، وأطلقوا لخيالاتهم العنان لابتكار ماهو طريف وجديد فكانت بحق مثيرة للضحك ومطرية عن النفس ، ولعل أجمل وأطرف مالمسناه في ذلك وصف جران العود النميري لخصوماته مع زوجته أو زوجتيه كما يبدو في بعض قصائده ، لقد صور الشاعر ما كان يجري بينه وبين زوجته من عراك راسماً صوراً دقيقة بتفصيلات غاية في الدقة والعناية ، إذ رصد الحركة والفعل والصوت والشكل ، كل هذا جعلنا نستحضر الصورة ونلم بها من جوانبها كلها بأسلوب كاريكاتيري يبعث على الضحك ويخلق روح الدعابة والمرح لدى المتلقي . لقد تعمد الشاعر أنْ يخبرنا بما كان يقع بينه وبين زوجته من معارك حامية تبدو فيها الزوجة هي المتفوقة المنتصرة بعد كل جولة لهما ، في حين يبدو هو ضعيفاً خائفاً هارباً منها متخفياً لائذاً هنا وهناك ، متحامياً بهذا وذاك تجنباً لضرباتها المتواصلة بالعصا حينا ، وبالحجارة حينا آخر ، ويبدو أنَّ جران العود كان يتصنّع مثل ذلك الأمر ، ويبالغ فيه كثيراً لأنَّ الرجل –وكما هو معروف – لا يرضى لنفسه أنْ يظهر بهذا الشكل المخزي الذي يجعل من نفسه أضحوكة للآخرين ، وأظن ظناً أنَّ الشاعر افتعل ذلك لخلق حالة من المرح والدعابة لغرض التسلية وإضحاك الاصدقاء ممّنْ أبدوا اعجابهم بأسلوبه وروحه المرحة ،ورغبتهم لسماع المزيد للترويح عن النفس ، وربما شاطروه فيما قال وما ذهب إليه ، وهذا ما وجدناه عند صديقه الرحال بن عرزة الذي رُوِيَتْ له قصيدة مشابهة لقصيدة جران العود في موضوعها وأسلوبها وردت في ديوانه (٢٥) ، فربما كانت لقاءاتهم ومجالسهم تزخر بمثل هذا الشعر المرح الذي لا تملّه الأسماع ، ولاتزهد به النفوس ، وفي هذا السبيل نقرأ قصيدة طويلة في ديوان جران العود النميري يصوّر فيها سوء خلق زوجته وخصومتها له وعراكها المستمر معه ، والقصيدة عبارة عن سرد وصفي ، وعرض للأحداث عرضاً تقريرياً أستطاع الشاعر من خلاله أنْ يُوفق في رسم لوحة كاريكاتيرية هازلة مليئة بالمفاجآت الطريفة ، والمفارقات الضاحكة ، والمواقف المرحة ، والمشاهد الهزلية ، كل هذا وفّرته اجواء القصيدة التي افتتحها ببيان قبح الزوجة ، إذ فوجئ بهذا القبح بعد ان دخل بها ، وكان يظن بها غير هذا ، فإذا به قد دفع طارف ماله وتليده في أمراة ركبت من عيوب فهي نحيلة ، بارزة العظام ، معوجة ، هزيلة كأنّها أعواد عريت من لحائها ، صوتها أجش مثل صوت البغال ، سريعة الحركة لاتكاد تستقر ليست كالنساء ، فهي كالغراب والعقاب في صوتها ، وشرها ، ونكدها ، وهي الغول والسعلاة ، وكل شؤم وجارح مما يُذكر ، هذه التي خُدِعَ فيها ودفع ماله مهرا لها ، يقول : (٢٦)

فإنّ الفتى المغرورَ يُعطي تلادَهُ ويعطي الثنا من مالهِ ثمَّ يُفضَحُ

ويغدو بمشحاجٍ كأنّ عظامَها محاجنُ أعراها اللحاءُ المُشبّحُ

فتلك التي حكّمتُ في المال أهلَها وما كلُّ مبتاعٍ من الناس يربحُ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

تكونُ بلـوذِ القرنِ ثُمَّ شمالها أحـثُّ كثيراً من يميني وأسرحُ
جرتْ يومَ رُحنا بالركابِ نزفّها عُقابٌ وشحّاجٌ من الطير مِتْيَحُ
فأما العقابُ فهو منها عقوبةٌ وأما الغرابُ فالغريبُ المطوّحُ
عقّابٌ عقبناهُ ترى من حذارها ثعالبَ أهـوى أو أشاقرَ تضبحُ
لقد كان لي عن ضرّتين عَدمنني وعمّا ألاقي منهما متزحــزحُ
هي الغولُ والسعلاةُ حلقي منهما مخدّشُ مابين التراقي مُجـرّحُ

وبعدها يبدأ الشاعر بوصف جولات العراك بينهما ، وهي جولات مليئة بمشاهد قوامها الحركة ، والفعل ، والكلام توحدت لرسم معالم مسرحية هزلية ، ولعل أول المشاهد ، مشهد ضرب الزوجة له ، وأخذها بناصيته ، وأخذه بناصيتها فانتزع خمارها ، وهي لازالت عروساً حديثة عهد بالمسك وجديد الثوب ، وقد لمحها بارزة العظام ذات رأس أصلع ، قبيحة المنظر فلما رأى منها ما رأى ولّى هارباً يدور في أروقة البيت خوف بطشها به ، وهي تسعى في إثره حتى انكبَّ على وجهه ، فانقضَّتْ عليه ضربً بالهراوة من كل جانب ، فما كفت عنه حتى خرّ مغشيا عليه ، فجرّته الى الماء لتفيقه فتعاود ضربه من جديد ، وما كاد يفيق حتى وجد نفسه بين رجال قيام عليه ،ونساء يسبحن تعجباً وإكباراً لما أصابه منها ، يقول : (٢٧)

لقد عاجلتْني بالنصاءِ وبيتُها جديدٌ ومن أثوابِها المسكُ ينفحُ
إذا ماانتصينا فانتزعتُ خمارَها بدا كاهلٌ منها ورأسٌ صمحمحُ
تُداورُني في البيت حتى تكبّني وعينيَ من نحوِ الهراوةِ تلمحُ
وقد علّمتني الوقذَ ثمّ تجرّني الى الماءِ مغشياً عليَّ أُرنّحُ
ولم أرَ كالموقوذ تُرجَى حياتُهُ إذا لم يرعهُ الماءُ ساعةَ ينضح
أقولُ لنفسي أين كنتُ وقد أرى رجالاً قياماً والنساءُ تسبّـحُ

وهذا مشهد آخر من مسرحيته الهازلة مع زوجته ، ويلاحظ انّهُ يبدع في في تتبع الحركات ، والانفعالات ، ورصدها ، وتصويرها بدقة بما يجعل عنصر التشويق فعّالاً ، ويحبّبها الى النفوس وفي هذا المشهد يعاود الشاعر تصوير جولة جديدة من جولاته معها ، ويبدأ برصد استعدادها ، وخبث نواياها إذْ راحت تصبّر عينيها (تضع نبات الصبر حولهما كنوع من العلاج كما كانت تفعل العرب) وتعصب رأسها ، ويبدو أنَّ هذه علامات الاستعداد لديها والخطر لديه ، وبدأت بتخطي الحاجزين بينهما ، وهي تفعل ذلك بشراسة وسرعة يكاد حصى الأرض يتطاير من تحت أقدامها لشدة وطئها عليه ، فإذا ما وصلت اليه تمكنت منه وهوت ضرباً عليه بعصاها ، وإذا ما اعترضها أحد الحاجزين جاهدت في الإفلات منه كي تلحق بالزوج المسكين ، فتواصل ضربه من جديد ، فتضربه في أصل أذنه، وهنا تصل الى أقصى درجات الاعياء والتعب فيتصبب جبينها عرقا ، أما هو فقد خرّ مغشياً عليه كعادته، وظل مُمدّداً خلف البيت ، وقد علاه الغبار والوحل ، ونال منه التعب والضرب فصار في أسوأ حال ، يقول : (٢٨)

تُصبّرُ عينيها وتعصبُ رأسَها وتغدو غدوَّ الذئب والبوم يضبحُ
ترى رأسَها في كُلّ مبدى ومَحضَرٍ شعاليلَ لم يُمشَطْ ولا هو يُسَرحُ
وإنْ سرّحتْهُ كان مثلَ عقاربٍ تشولُ بأذنابٍ قصارٍوترمَـحُ
تَخَطّى إليَّ الحاجزين مَذلّةً يكادُ الحَصى من وطئِها يترضّحُ
كِنازٌ عـفرناةٌ إذا لحقتْ بهِ هوى حيثُ تهويه العصا يتطوّحُ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

إذا انفلتتْ من حاجزٍ لحقتْ بهِ وجبهتُها من شدّةِ الغيظ ترشحُ
وقالتْ تبصّر بالعصا أصلَ أذنِه لقد كنتُ أعفو عن جرانٍ وأصفحُ
فخرَّ وقيذاً مُسلحبّا كـأنّه على الكسر ضِبعانٌ تقَعّرَ أملحُ

وجولة أخرى له مع زوجته عند الغدو ، وبعد أنْ ظنّ أنّ الهدوء استتب بينهما ، فإذا بعاصفة من السباب والشتم مصحوبة بقذف الحجارة من بعيد وقريب ، فما كان منه إلا اتقاء حجارتها بالتداري خلف أغراض البيت تارة ، ورفع يديه الى وجهه تارة أخرى ، ولكن يبدو أنَّ حجارتها كانت شديدة نافذة ، إذْ لم ينفع معها أي اتقاء ، فما لبثت أنْ شجّت رأسه وأنفه ،فصار الدم يسيل منهما جميعا ، ولم تكتف بما أحدثته بزوجها بل تجاوزته الى صديقه ابن روق الذي جاء زائراً لصديقه يقضي بصحبته وقتاً ممتعاً ، فإذا به يلقى مالقي صديقه قبله ألوانا من الضرب والسب والصراخ حتى فرَّ هارباً ، وهي تعدو خلفه صارخة مزمجرة بصوت أشبه مايكون بوقع المطرقة على السندان ، فما كان منه إلا أنْ امتطى بعيراً حمله بعيداً عنها ، يقول : (٢٩)

ولما التقينا غدوةً طالَ بيننا سبابٌ وقذفٌ بالحجارة مِطرحُ
أُجلّي إليها من بعيدٍ وأتقي حجارتَها حقّاً ولا أتمـزحُ
تَشُـجُّ ظَنابيبي إذا ماانتقيتها بهنَّ وأخرى في الذؤابة تنفح
أتانا ابنُ روقٍ يبتغي اللهو عندنا فكاد ابنُ روقٍ بين ثوبيه يَسلحُ
وأنقذني منها ابنُ روقٍ وصوتُها كصوتِ علاة القينِ صلب صُميدعُ
وولّى به رادَ اليدينِ عظامه على دققٍ منها موائرُ جُنّـحُ

وهذا عاصم بن خروعة النهشلي يشكو سوء معاملة زوجته، وبغضها له ، وخصامها الدائم معه، فيعد الى وصف سلاطة لسانها الذي شبهه بسفع النار وحز المبرد ، ويبقى هو إزاء ذلك كله حذراً متيقظاً لا يملك إلاّ الشكوى منها والدعاء عليها ، والتوجه الى الله ليفرج كربه قبل أن تدركه المنية على يديها ، يقول : (٣٠)

الى الله أشكو أنّها قد تنكرتْ وأبدتْ لي البغضاءَ أمُ محمدِ
فقد تركتْني عندها كمُدَلَهٍ يُحاذرُ وقعاً من لسانٍ ومنْ يَـدِ
كأنّ عذابَ القبرِ تحتَ خِبائِها إذا لصقتْ تحتَ الخباءِ المُمـدّدِ
فيا ربّ فرّجْ كربتي قبل ميتتي بواضحةِ الخدينِ ريّا المُقلّـدِ
وإنّي متى عاتبتُها كان عذرُها وإعتابُها أنْ كنتَ غضبانَ فـازْدد
هي الغولُ والشيطانُ لا غولَ غيرُها ومنْ يصحبِ الشيطانَ والغولَ يكمدُ
تـعوّذ منها الجنُّ حين يرونَها ويَطرقُ منها كلُّ أفعى وأســودُ
فإني لشاكيها الى كلّ مسلمٍ وداعٍ عليها الله في كل مسجد

وقد ينقلب الموضوع الجاد الى هزل وسخرية ويبعث على الضحك ، ويتحول الى ما يشبه النكته ، وهذه الزوجة ضاقت بغيرة زوجها ، فوجدت الاسلوب الساخر غير الجاد خير ما ترد به على هذا الزوج الأحمق الغيور ، يُروى أنَّ أعرابيا قدم من سفره فوجد زوجته قد ولدت غلاما فأنكره وقال لها : (٣١)

لتقعُدنَّ مقعَـد القَـصيّ
منّيَ ذي القاذورةِ المقليـيّ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ج – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

أو تحلفي بربكِ العـليّ

أنّـي أبــو ذيالك الصَّبيّ

فردت عليه بأسلوب التهكم والسخرية بعد أنْ بدأت بنفي مزاعم زوجها في اتهامه لها بأسلوب نفي موهمة سامعيها أنها ستسلك طرق النفي والقسم والتوسل للرد على مزاعم زوجها ، ولكننا نفاجأ بردها الطريف ، إذْ تقول :

لا والذي ردّك يـا صفييّ

ما مسّني بعـدَكَ من إنسيّ

غيرُ غـلامٍ واحـدٍ صَبيّ

بـعدَ امـرأينِ من بني عَديّ

وآخـرينِ من بنـي بَــليّ

وخمسةٍ كانوا على الطَـويّ

وستةٍ جاءوا مـع العَشــيّ

وغـير تركـي وبصـرويّ

الأسلوب الفكاهي المرح يكمن في ردّ الزوجة بأسلوب قلب الكلام الى ماهو غير متوقع لغرض إثارة غضب الزوج والسخرية من شكّه بها إمعانا في استنكار ما ذهب اليه ، فجاء ردها غاية في الطرافة ، فبعد أن بدأت الكلام بتأكيد النفي بالقسم ، بدأت تذكر عدداً من الرجال حتى اقتربوا من العشرين تنكيلا بالزوج لعدم ثقته بها ، ويلاحظ أنّها اتخذت أسلوب التهكم والسخرية، فكان ظاهر كلامها جداً وباطنه هزلاً ، والتهكم من طرق البلاغة ، وهي أنك تريد شيئا وتظهر كلاما غيره مخالفا له ، وهو تعبير مخالف للحقيقة القصد منه التنبيه أو تقويم السلوك بطريقة المزح ، وسرعة البديهة ، لأنّ النفوس تستعذب الجد الذي يعرض عليها بثوب الهزل (٣٢) وكأني بالزوجة هنا تقول لزوجها ساخرة منه : أتحداك أن تعرف أباه تمادياً في إغاظته بعد ماكان منه في توجيه الإهانة بالشك في ولده . ومثل هذا الاسلوب في الإغاظة يتخذه هذا البدوي الذي ضاق بنصائح زوجته، وتوجيهاتها له ، فجاء بكل ما لا يرضيها قولاً وفعلاً ، يُروى أنّه اشترى خمراً بجزة من صوف ، فغضبت زوجته ، فهددها بالتغالي في الشراب إنْ لم تكفَّ عن لومها له ، فلم ترتدع ، فجاء تحديه لها على وفق هذا الاسلوب الذي وجده أقدر على إغاظتها ، والنيل منها وإسكاتها ، وهو أسلوب لا يخلو من دعابة وهزل ، يقول : (٣٣)

غضبتْ عَليَّ لئن شربتُ بصوفةٍ ولئن غضبتْ لأشربنْ بخروفِ

ولئن غضبتْ لأشربـنّ بنعجةٍ دهساءَ مالئة الإناءِ سَـجوفِ

ولئن غضبتْ لأشربنَّ بنـاقــةٍ كوماءَ ناويـةِ العظـامِ صفوفِ

ولئن غضبتْ لأشربنَّ بسـابحٍ نهـدٍ أشمّ المنكبينِ مُنيـفِ

ولئن غضبتْ لأشربنّ بواحدي ولأجعلنَّ الصبرَ منهُ حليـفي

وما كان من الزوجة المسكينة بعدما سمعت منه ما سمعت إلاّ أنْ ردّت قائلة : إنَّ أمره لم يعد يهمها سواء أشرب بجزة صوف أم بكل ما ملك من تالد وطريف .

ما إنْ عتبتُ لئن شربتَ بصوفةٍ أو أنْ تلذَّ بلقحةٍ وخروفِ

فاشربْ بكل نفيسةٍ أوتيتَها وملكتها من تالدٍ وطريفِ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

من خلا هذا العرض وجدنا أنَّ الشاعر في كل الاحوال يُرجع سبب المشاكل والخصومات الى الزوجة ، ويبدو سبب ذلك أنَّ الشاعر أو الزوج هو الذي يحدثنا عن هذه الخصومات ، فهو الوسيط الناقل لهذا الجانب من الجوانب الاجتماعية (يعني نقل من طرف واحد) وعليه فنحن نطلّع على رأي طرف واحد من الطرفين المتخاصمين وهو الرجل ، ومن ثَمَّ تبدو المراة فيه هي المتجنية عليه ، وهذا أمر مؤكد ، فالزوجة هي من تثقل الزوج بطلباتها ،وهي المقصّرة بواجباتها ، وهي القبيحة ، والشرسة المعتدية ، واللسنة ، سيئة الطباع ، تختلق العراك ، شرهة اكول ، وعليه فقد لاتكون المرأة بهذه الصورة كما صوّرها الرجل ، فيكون مبالغاً في ذلك ، وعليه فكثير من الشعرفي هذا الجانب لم يُنصف المرأة ، وربّما خفة الروح والطبيعة المرحة الهازلة ،والسعي الى تحقيق الدعابة وخلق الجو المرح هو ما دفع بعض الشعراء لنظم مثل هذا الشعر وهو مبتغانا ، وما قامت عليه فكرة هذا البحث .

رابعاً : ماقيل في البخل والبخلاء

يُعدُّ العرب أكثر الأمم كرماً وسخاءً ، والبدوي أكثرهم تمسكاً بهذه القيمة العربية الأصيلة ، وإنْ كانت حياة التحضر قد جعلت البعض منهم يحيدون عنها ، فإنَّ الصحراء بجدبها وخشونتها تذكرهم دوما بالعطاء والكرم ، وقرى الضيفان ، وتحبب ذلك الى نفوسهم لذا كان البدوي يرى البخل مذمة ، وشح اليد رذيلة ، والكرم مظهر قوة وسيادة ، ولهذا اتخذ الشعراء البخل والبخلاء مادة لتندرهم ، وسخريتهم ، فراحوا يرمون مهجويهم بهذه المنقصة لمعرفتهم أثرها في النفوس ، وقد تفننوا برسم صور مضحكة للبخلاء أساسها المبالغة المفرطة ، وإعمال الخيال الخصب ، والدقة في رصد الحركة والفعل والصوت لتتشكل صورة كاريكاتيرية متكاملة لها تأثير في المتلقي إذ تبعث في نفسه الدعابة والاضحاك . ونحن هنا نرصد من شعر البادية ماهو أقرب الى روح الدعابة والتندر ، وليس ماينتمي الى الهجاء الجارح المؤلم ، ومثل هذا الشعر يعبر عادة عن خفة الظل والروح المرحة التي يتحلى بها بعض الشعراء البدو ، وفي هذا الصدد يستحضرنا شاعر الهجاء الحطيئة إذْ وفد على أحدهم في طلب حاجة ، فتشاغل عنه ليوهمه أنّه لايراه ، ثم يطرق إطراقة طويلة حتى ظنه الحطيئة قد مات أو كاد يموت ، فتأخذه الرأفه لحال الرجل البخيل ، فيطمئنه أنّه لن يعود إليه يطلب شيئا ، وينتهي المشهد بفرح البخيل ، وانفراج أساريره، وتغير ملامحه ، حتى فاق فواق من أدركه الموت ، يقول : (٣٤)

كدحتُ بأظفاري وأعملتُ مِعولي فصادفتُ جلموداً من الصخر أملسا

تشاغلَ لمّا جئتُ في وجه حاجتي وأطرقَ حتى قلتُ قد ماتَ أو عَسى

وأجمعتُ أنْ أنعاهُ حينَ رأيتُهُ يفوقُ فواقَ الموتِ حتى تنفّسا

فقلتُ لهُ لابأسَ لستُ بعائدٍ فأفرخَ تعلوهُ السّماديرُ مُبلسا

لقد استطاع الحطيئة أنْ يرسم صورة حية لذلك البخيل برصد دقة حركاته، وأفعاله حينما سُئلَ شيئاً ، فالدقة في التصوير هي التي قرّبت الصورة ، وأبرزت عنصر الاضحاك فيها . وهذا أحد الرجاز نزل ضيفاً على قوم فلم يحسنوا قراه ، بل تركوه جائعاً يتضور ، فقال يصوّر شحهم ، ويصف حاله بينهم ، يقول : (٣٥)

بتنا بحسانَ ومعزاهُ تَئطْ

تلحسُ أذنَيهِ وحينا تمتخطْ

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

مازلتُ أسعــى بينـهم وألتبطْ

في لَبــنٍ منها وسَمْــنٍ وأقـطْ

حتـى إذا كـــادَ الظـلامُ يختللطْ

جاءوا بمَـذقٍ هل رأيـتَ الذئبَ قطْ

فقد وصف شحّهم ، وعدم إكرامهم للضيف ، فلم يأتوا بما أتوا به إلاّ بعد أنْ مضى جانب من الليل ، وكان اللبن أكثره ماء . ويبدو أنَّ أقبح العادات ، وأكثرها جلباً للعار هي التقتير على الضيف بالطعام والشراب ، فهي أكثر ما استنكره البدوي ، وازدراه ، وسعى في كشفه ، وفضح أصحابه ، وجدّ في تصويره ، واتخذه سبيلاً للتندر ، فممّا يُروى أنَّ الرجل إذا تزوج فلم يولم اجتمعوا عند بابه ورددوا الأشطار : (٣٦)

أولمْ ولـو بيـربـوع

أو بـقَرادٍ مَجـدوع

قَتلتـنا من الجـوع

وهذا أيضا ما أثار سخرية دُكين الراجز حينما أتى عرساً، فحُجبَ فرجز فيهم : (٣٧)

تَـجَمّـعَ الناسُ وقـالوا عـرسُ

إذا القِصاعٌ كالأكـفِ خَـمسُ

زلحلحاتٌ مائـــراتٌ مُـلسُ

فَفُقْئَتْ عينٌ وفاضتْ نفسُ

فالقصاع قليلة بعدد أصابع اليد الواحدة ، والجمع كبير لايُعدُّ ولا يُحصَى ، فما كان إلا وقد فقئت الأعين ، وفاضت الأنفس في تزاحمها على الطعام . وهذا جُبيهاء الأشجعي يكشف عن حرصه ورغبته في استرداد حاجته بطريقة مبتكرة ، يُروَى أنَّ رجلاً من بني التيم استلف عنزاً منه ينتفع من لبنها زمناً ثُمّ يرجعها ، فأمسكها التيمي دهرا ، فرغب جبيهاء أنْ يستردها منه ، فأسمعه أبياتاً يذكر فيها محاسن عنزته تلك ، ويصفها بأحسن الأوصاف لعل الأخير يسرع فيرجعها اليه ، يقول : (٣٨)

أمولى بني تيمٍ ألستَ مؤدّياً مَينحتَنا فيما تُؤدّى المنائـحُ

فإنّك إنْ أدّيتَ غمرةَ لم تزلْ بعلباءَ عندي ما بغـى الربحُ رابحُ

لها شعرُ صافٍ وجيدٌ مُقلّصٌ وجسمٌ زُخاريٌّ وضرسٌ مُجالحُ

ولو أُشْلِيَتْ في ليلةٍ رجبيةٍ بأرواقِها هطلٌ من المـاء سافـح

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

لجَاءتْ أمامَ الحالبينَ وضرعُها أمامَ صَفاقيها مُبـدٌّ مُكاوحُ

وَوَيلُمّها كانتْ غَتبوقةَ طارقٍ تُرامَى بهِ بِيدُ الإكامِ القَراوحُ

كأنَّ أجيجَ النّار إرزامُ شَخبها إذا امتاحَها في مَحلبِ الحيّ ماتحُ

والدعابة في الأبيات تبدو من خلال إلحاح الشاعر في وصف العنز من خلال الدقة وتتبع محاسنها ، فهي تامة الخلق ، لها شعر جميل نظيف ، وجيد طويل ، وجسم ممتلئ ، وأسنان قوية تحسن القضم ، ولها ضرع ممتلئ باللبن في كل حين ، تكفي الضيف والطارق في كل حين ، أما صوت حلبها فكأنّه أجيج النار لقوة تدفق اللبن من ضرعها ، وكل هذا الوصف جاء لغرض تذكير التيمي بعنزه التي افتقدها علّه يردّها إليه بعد ما سمع غزله بها ، فما كان من التيمي إلاّ أنْ ردّها إليه بعد ماسمع منه فكان رده لايخلو من دعابه مضحكة ، إذ يقول :

بَلى سأودّيها إليكَ ذميمةً فتنكحُها إنْ أعوزتك المناكحُ

وربما يكون المزح مقصوداً في أبيات جبيهاء الأشجعي السابقة ، فيُذكر أنه حينما قال الأبيات أعقبها ببيت آخر يقول فيه أنّه كان مازحاً ، وماعليك بعد ذلك فيما يقول مازح :

وما كنتُ إلاّ مازحاً قال مزحةً فأنكرتُ أنْ يهدي إليك الممازحُ

خامسا : في سذاجة البدوي ورقة إسلامه .

يبدو أنَّ النوادر التي سُجّلتْ عن الأعراب فيما أُثرَ عنهم من شعر لم تكن في الغالب عن قصد وعمد ، إنّما كانت بدافع من غفلتهم وسذاجتهم وسوء تصرفهم في ذلك الإطار الجديد الذي وجدوا أنفسهم فيه ، وهناك من رصد أفعالهم وتصرفاتهم وكلامهم ، وأسلوبهم في الحياة لغرض التندر والدعابة والضحك ، وقد جاءهذا الرصد متناقضاً مع ما هو مألوف وشائع في المدن والحواضر التي بدأت تتسع وتجتذب بعض أهل البوادي الذين ظلوا يترددون على الحاضرة لغرض التسوق ، والتجارة ، ورُبّما الزواج، ولكن ليس للإقامة ، إذْ ظلت قلوبهم متعلقة بالبادية والصحراء يؤثرونها على الحاضرة ومغرياتها . ولعل من أطرف ماجُمعَ في هذا الجانب النوادر التي تدور حول تهاون البدوي بتعاليم الاسلام وجهله بالقرآن الكريم وآياته، وأصول الدين ، وأحكام الشريعة ، والفرائض ، وكإنما عزز القرآن هذه الظاهرة بقوله تعالى : " الأعرابُ أشـدُّ كفراً نفاقاً ، ويُروى على سبيل التظرف أنَّ أعرابيا سمع قارئا يقرأ : " الأعراب أشد كفراً ونفاقاً : فقال : لقد هجانا ربنا ، ثم سمع قوله تعالى : " ومنَ الأعرابِ مَن يُؤمنُ باللهِ واليوم الآخر ... " فقال لا بأس هجاء ومدح ، ثم قال على سبيل الاستشهاد : (٣٩)

هجوتُ زُهيراً ثمّ إنّي مدحتُهُ ومازالتِ الأشرافُ تُهجَى وتُمدَحُ

وقد علل أحد الدارسين حقيقة هذه الظاهرة عند الأعراب ، إذْ قال : " إنَّ صراع البدوي لإشباع رغائبه المادية لم يترك له مجالاً لإشْباع فضول العقل والروح " (٤٠) وقد يبدو هذا تعليلاً مناسباً ولكن لايُعوّل عليه وحده لتفسير الظاهرة ، إذ قد يكون لطبيعة

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

البدو وما طبعتهم به الصحراء من إيثار الحرية والانطلاق في الفضاء الرحب الواسع ، وعدم التقييد بشيء ، والانعتاق من كل ما يُشْعِر بأنّه يحدّ من حريته ويجعله مقيداً ، هكذا شعر البدوي حين جاء الإسلام بالفرائض والتعاليم الجديدة ، وفرض الجهاد والزكاة والصلاة ، ومَنعَ أموراً أخرى وتحريمها اعتادها البدوي فكانت جزءاً أساساً من حياته ، ثُمَّ كان الفقر والعوز وخشونة الحياة التي ظلت ملازمة لحياة البدوي في الصحراء ، وقد آثر العزلة والفاقة عن الاستقرار في المدن والحواضر بعيداً عن الامان والاكتفاء المادي . فالبدوي هو من تنحّى جانباً وامتنع ومنع نفسه عن الخير الذي جاء به الإسلام مادياً ومعنوياً . وتظل أجمل وألطف النوادر تلك التي جاءت على ألسنة الأعراب و الناتجة عن غير قصد ولاتعمد ، وهذا أحد الأعراب ينادي ربه، وقد طال انحباس المطر ، فيقول : (٤١)

ربَّ العبادِ ما لنا وما لكَ

أنزلْ علينا الغيثَ لا أبا لكَ

فسمعه الخليفة سليمان بن عبد الملك ، فقال : أشهد أنّه لا أباً له ولا ولداً ولا صاحبة ، وهو الأحد الصمد ، ويلاحظ أنَّ مناجاة الأعرابي لربه بهذا الأسلوب الباعث على الضحك ، والنابع من سذاجته ، وجهله ، وعدم تأدّبه مع الله في الخطاب ، فهو يناديه ، ويعاتبه ، ويشتد معه في العتاب والقول ، ويأمره ويوبّخه ، كما يفعل مع بدوي مثله . ويُروى أنَّ الحجاج أخذ إعرابياً في عقوبة ، فضربه سبعين سوطاً ، وكان كلما قرعه بسوط ، قال : – أي الأعرابي – اللهم شكراً ، فأتاه ابن عم له فقال : والله مادعا الحجاج الى التمادي في ضربك إلاّ كثرة شكرك ، لأنَّ الله تعالى يقول : " لئن شكرتم لأزيدنكم ، فقال : أهذا هو في كتاب الله ؟ فقال : نعم . فأنشأ يقول : (٤٢)

يا ربّ لا شكرَ فلا تزدني

أسرفتُ في شكركَ فاعفُ عني

باعدْ ثوابَ الشاكرين منّي

يلاحظ أنَّ مصدر الدعابة في النص صادرة من سلوك عفوي وساذج من الأعرابي الجاهل ، والنتيجة مفارقة طريفة قامت على تناقض واضح بين إدراكه هو للأمور ، وطبيعتها الفعلية بما أحدث هذا التنافر بين الادراكين فانقلب الوضع الى هزل ودعابة . ومن هؤلاء البدو عقيل بن علفة ، يُروى أنه دخل على الخليفة عمر بن عبد العزيز – وكان قد اشتدَّ عليه لجفائه وغلظته – قائلاً له : واللهِ لا أراك تقرا في كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إني لأقرأ : (إذا زلزلتْ الأرضُ زلزالَها) حتى بلغ آخرها فقال : (فمَنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يره ، ومَنْ يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يره) وكان قد قدم لفظ (شراً) على (خيراً) فقال الخليفة عمر

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

العدد 2 – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

بن عبد العزيز : ألم أقل لك أنّك لا تحسن القراءة ؟ قال : أو لم أقرأ ، قال : لا لأنَّ الله (جلَّ وعلا) قدم الخير ، وأنت قدمت الشر ، فقال عقيل : (٤٣)

خُذا بطنَ هَرشى أو قفاها فإنّه كلا جانبي هرشى لهنَّ طريقُ

فصار القوم يضحكون من عجرفته ، وباعث الدعابة تبريره لقراءته المضطربة للآية القرآنية بأن كلتا القراءتين تؤديان معنىً واحداً، كذلك الوصول الى هرشى (اسم مكان) يتحقق من كلا طريقيها ، وهذا ما استحضره للمقارنة بين الأمرين ، مع التباين الواضح بينهما . والأعرابي صريح في كل حين ، حتى وإنْ كان حتفه في صراحته ، وقد تكون الصراحة باعثة على الضحك حينما تفضي الى مفارقة طريفة كتلك التي أفضت اليها ابيات هذا الأعرابي والتي رواها الأصمعي فقال : " كان أعرابيان متواخيين في البادية ، فاستوطن أحدهما الريف ، واختلف الى باب الحجاج فاستعمله على أصبهان ، فسمع بهذا أخوه الذي في البادية ، فضرب اليه فأقام ببابه حينا لايصل إليه ، ثم أذن له بالدخول ، فأخذه الحاجب فمشى به ، وهو يقول له : سلّم على الأمير – فلم يلتفت الى قوله – وأنشد يقول :

ولستُ مُسلّماً ما دمتُ حيّاً على زيدٍ بتسليم الأميرِ

أتذكرُ إذْ لِحافُكَ صوفُ شاةٍ وإذْ نعلاكَ من جلدِ البعيرِ

فسبحانَ الذي أعطاكَ مُلكاً وعلّمكَ الجلوسَ على السريرِ" (٤٤)

وما أظنه إلا أنّه تضايق لما رأى الحجب والأبواب المغلقة تحول بينه وبين رؤية أخيه ، وربما وجد أنّ حاله قد تغيرت ، وأنَّ الحاضرة والجاه الذي هو فيه جعلا منه زيداً آخر غير ماكان يُعهدَ في البادية . وأحيانا تصل سذاجة البدوي حد البلاهة فتثير الضحك ، وتصبح أشبه بالدعابة ، وهذا أعرابي من طي يقال له المثنى بن معروف نزل ضيفاً عند أحدهم يُكْنَى بأبي جبر ، فسمعه يوماً يقول : واللهِ لوددتُ أنّي أبيت الليلة خالياً بابنة عبد الملك ، فقال له المثنى : أحلالاً ام حراماً ؟ فقال : لا أُبالي ، فوثب عليه ، فضرب رأسه برحالة – شيء أشبه بعصا – ثم انتقل عنه ، وهو يقول : (٤٥)

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً على النأي أنّي قد وترتُ أبا جبرِ

كسرتُ على اليافوخِ منهُ رِحالةً لنصرِ أميرِ المؤمنينَ وما يدري

على غير شي ءٍ غيرَ انّي سمعتُهُ بَنى بنساءِ المسلمينَ بلا مهرِ

النادرة هنا انه اخذ الامر بمحمل الجد ، والتخيل جعله واقعياً فكان عقابه لأبي جبر على حال واقع ، وأمر حصل ، فضربه ثأراً للخليفة الذي لايعلم ولا يدري ، أما السبب الذي أعلنه فقد اكتملت به النادرة ، وهو أنه (دخل بنساء المسلمين بلا مهر) وكل مافعله الرجل أنّه تمنّى مجرد أمنية مسموعة لا غير .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

العدد 2 – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

والأعرابي صاحب قناعة ، يقنع ولو بالقليل ، وربّما كانت ظروف عيشه في الصحراء القاسية في ظل الفقر والعوز هي التي جعلته يرضى بالقليل ، ويراه كثيراً ، حتى انعكس ذلك على تفكيره فوسمه بالسذاجة ، والسطحية ، وضيق الأفق ، إذْ جعل الشيء الهين الحقير كبيراً عظيماً ، وهذا ربّما يفضي الى نتيجة تدعو للسخرية والإضحاك ، وهذ ما ندركه في أبيات إحدى نساء بني عامر ، وقد جلست واجتمع حولها نسيات طفن جميعا برجل يشرف على الموت ،وهي تقول :" أيا ملك الموت دع لي صعصعا فإنّه ثمرة فؤاديه ، فإن أبيت فخذ من اعمار من ترى ما شئت ، ثم تُقبل على النسيات فتقول : أتسلّمنّ ، فيقلن : نعم والله وليزد ماشاء ثم تبكي مريضها وتقول : "

كإنّكَ لم تذبحْ لأهلكَ نعجةً ولمْ تُلقِ يوماً بالفناءِ إهابَها

ولم تُجبَ البيدَ التنائفِ تقتنصْ بهاجرةٍ حِسلانَها وضِبابَها

فإنْ مُتَّ هدَّ الموتُ أبناءَ عامرٍ فخصّ بها كعباً وعمَّ كلابَها " (٤٦)

فهي تبكي وتندب فيه أفعاله العظيمة – وهو لم يمت بعد – وأفعاله المشرفة ألا وأنّه كان يذبح نعجة لأهله – وليس لضيفه – ويلقي بجلدها وفضلاتها بالفناء ، وأنَّه كان يجوب البوادي لا ليقتنص الغزلان والضباء ووحوش البراري وكواسرها ولكن ليتربص بالضباب بل حسلانها – صغارها – ومع هذا فبموته لن تُهد عامر لوحدها بل ستهد كعب وكلاب كلها معاً ، المفارقة هنا تكمن بتضخيم وتعظيم الصغير القليل فيأخذ حجماً أكبر من حجمة ، ويرتدي ثوبا لايناسبه فيبدو الأمر أقرب إلى الدعابة . وقناعة البدوي كما أسلفنا جعلته يرضى بالقليل، وجعلت أمنياته ساذجة ، وهذا البدوي جعل اللبن المحض والرائب والتمر والزيد كل مبتغاه، فإن أكله كان له شأن مختلف ، فتراه يمشي متبختراً مختالاً فخوراً ، يقول : (٤٧)

لو اصطبحتُ قارصاً ومَحضا

ثُمَّ أكلتُ رابياً وفرضــا

والزبدُ يعلو بعضَ ذاكَ بعضا

ثَمَّ شربتُ بعــدَهُ المُرضّـا

سمقتُ طولاً وذهبتُ عَرضا

كإنّما آكلُ مالا قرضــا

ومن طريف قوله :

إذا تغديتُ وطابتْ نفسي

فليس في الحيّ غلامٌ مثلي

إلاّ غلامٌ قد تغدّى قبلي

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

العدد 2 – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

خاتمة :

من خلال هذا الاستعراض للمضامين والافكار الطريفة الهازلة يمكننا أنْ نقول : إنَّ الدعابة والمرح طبيعة متأصلة في نفس البدوي على الرغم مما يشاع عنه بأنه صاحب غلظة ، وقسوة ، وصرامة وتجهم ، فقد امتلك البدوي الروح المرحة ، وأجاد خلق الدعابة والجو المرح للتطرية عن نفسه وغيره ، وقد وجدنا أنَّ المزحة والنادرة عند البدوي قد تكون غير مقصودة ولا مفتعلة ، بل نابعة من غفلته وسذاجته وجهله بأمور الحياة لاسيما مايتعلق بالدين الإسلامي ، وما طرأ على المجتمع بعد الإسلام من بوادر التحضر والتغيير في أساليب الحياة المختلفة ، وأحيانا تكون مقصودة وتلك يكون مصدرها الروح المرحة المحبة للمرح والدعابة ، وخلق الأجواء اللاهية كما صرّح بذلك بعضهم ، وكما عُرفَ عن شخصيات بعضهم كونها شخصيات محبّة للمرح تتمتع بروح الخفة والتندر ، وفي كل الأحوال فالدعابة عند البدوي متميزة بخفتها ، وبعدها عن النقد الساخر ، والهجاء المبطن المؤلم الذي أصبح طابعاً للهجاء الساخر الذي يحمل عمقاً مختلفاً عن الدعابة والمزح البدوي المتّسم بالسذاجة ، والسطحية ، والبعد عن التعقيد.

هــوامش البحث :

(١) رسائل الجاحظ : ٢٢٠ .

(٢) الفكاهة في الأدب العباسي ، وديعة طه النجم ، مجلة عالم الفكر ، ص : ٧٤٢ .

(٣) الضحك ، برجسون : ٢٢

(٤) الحماسة الصغرى (حماسة أبي تمام) : ٩٥ . والإقواء ظاهر في البيتين

وهو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة ، ويعد من عيوب الشعر . كابل : ولاية تقع بين الهند وسجستان ، وهي ذات مروج كثيرة غزاها المسلمون أيام بني مروان ، وأهلها مسلمون . ينظر : معجم البلدان : ٤/ ٤٢٦ .

(٥) معجم البلدان : ٤/ ٣٥٨ ، والوجناء : الصحراء .

(٦) الحيوان : ٥/ ٤٠٨ .

(٧) المصدر نفسه: ٥/ ٣٨٥ . والفسطاط : مدينة في مصر بناها عمرو بن العاص . ينظر : معجم البلدان : ٤/ ٢٦٠ . حدب : ماتتاثر منها هنا وهناك .

(٨) الحيوان : ٥/ ٤٠٨ . تهواش : هاش هواش ، أي اضطرب القوم ، أو سريع الهجوم اذاها فاش : أي منتشر . الهراش : القتال . نشاش : صيغة مبالغة ، كثير النش خموش : كثير اللسع : ينظر: معجم المعاني الجامع : (الألفاظ : خَمش ، نَشّ، هاشَ ، هرشَ)

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية

(٩) ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣/ ١٥٣٤ . يريف : يسكن الريف . القليف : إناء الخمر وقليف : فاكهة مجففة ، الحميت : الزق يوضع فيه السمن . الطاية : مربد التمر . السيف : ساحل البحر .

(١٠) أشعار النساء : ١٣٠ . الطفشيل : في المعاجم بتقديم الياء ، نوع من المرق ، ينظر: القاموس المحيط (الفيروز أبادي) : ٣/ ٥٤١ .

(١١) عيون الأخبار : ٣/ ٢٢٢ . جوع برقوع : شديد ، الغرث : الجوع .

(١٢) ديوان حُميد بن ثور الهلالي : ٧٩ . المحرّد : الممّوج ، غضون : تجاعيد وطيات ، الفدفد : الأرض الغليظة ذات الحصى ، الغطاريف : جمع غطريف وهو السيد ، السّوام : الإبل الراعية .

(١٣) ديوان جران العود النميري : ١١٠ .

(١٤) المصدر نفسه : ١١٢ . الغرماء : أصحاب الدين ، الدّل : السكينة والهدوء . نقضة : مهزولة ، الحائل : امرأة لاتحمل ، عجفاء : نحيلة هزيلة

(١٥) سمط اللآلي : ٢/ ٦٧٢ . وينظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٥٦٤/٢ وفيه منسوبة لأعرابي ، عَودَي نعشيها : مايُحمل عليه النعش من الأعواد او الخشب بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول الرقبة ، وهي من صفات الجمال عند المرأة .

(١٦) قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي : ٤٣٠ . ذات شذاة : ذات خصومة . الصراصر : جمع صرصر وهو الصوت الشديد ، تعنظت : تسلطت بلسانها فأفحشت ،أجرسَ : صّوت .

(١٧) عيون الاخبار : ٤/ ٣٢ . ولعلّها تُنْسَب للرّحال بن عرزة صاحب جران العود إذ وردت بعض أبياتها في ديوانه (أي ديوان جران العود) ونُسِبتْ للرّحال ، تنظر : مقدمة محقق الديوان الدكتور نوري حمودي القيسي . الأرواح : جمع ريح . النمرق : جمع نمارق ، وهي الوسائد ، المحاق : آخر مراحل القمر من الشهر إذ يكون شبه غائب .

(١٨) عيون الأخبار : ٤/ ٤٧ .

(١٩) ديوان المجنون : ٩٨ .

(٢٠) ديوان جميل بثينة : ٩٥ .

(٢١) المصدر نفسه : ٧٨ .

(٢٢) البصائر والذخائر : ١/ ٦٧ . الصلاية : حجر أملس يُسحَق عليه الطيب .

(٢٣) ديوان امرئ القيس : ١٥٥ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

(٢٤) سمط اللآلي : ٢/ ٦٧٢ . وفيه نُسِبَت الأبيات لعروة الرحال ، وينظر : عيون الأخبار : ٤/ ٤٣ . بيضة العقر : مثل يُضرَب للشيء لا يكون إلاّ مرة واحدة ، ويقال إنّها بيضة الديك ، لأنَّ الديك يبيض في عمره مرة واحدة فيما يقال ، ينظر في ذلك: مجمع الأمثال للميداني : ١/ ٩٦ (بيضة العقر)

(٢٥) ينظر : ديوان جران العود النميري : ٤٦ . ونقل محقق ديوان جران العود الدكتور نوري القيسي عن صاحب كتاب : منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك البغدادي المتوفى : ٥٩٧هـ حين أورد الأبيات قوله : قال صاحب منتهى الطلب : وقال الرحال بن مجدوع النميري يهجو أمرأته مثل ما هجا جران العود امرأته ، وكانا صديقين .

(٢٦) المصدر نفسه : ٣٨– ٤٥ . التلاد : المال القديم الذي يرثه الرجل عن أهله . الطارف : هو المال المُستحدَث الذي استحدثه هو لنفسه . المشحاج : أمرأة سريعة المشي ، وهو عيب في النساء . المحاجن : اسم آلة معقوفة أي معوجة ، وقد شبه عظامها لاعوجاجها وهزالها بالمحاجن . عراها : نزع منها اللحاء . المشّبح : المقشور . شبّحه : قشّره . اللّوذ : الجانب. القرِن : القرين . أسرح : أسهل ، يريد أسرع من أقرانها في السير . الركاب : الإبل . شحّاج : يريد الغراب أو صوته حين يصبح مُسِناً ، فيغلظ صوته . متيح : اي مايُطّيّرُ منه . المطوّح : المُبعد . العقبناة : السريعة الخطفة . أهوى : ماء لبني حمّان . أشاقر : أسم موضع . تضبح : تصيح .

(٢٧) المصدر نفسه : ٤٠ . النصاء : الأخذ بالناصية . الصمحمح : الأصلع الشديد الغليظ . الكاهل : مغرز العنق في الظهر . الوقذ : والوقيذ المَغشَى عليه أو المُغمَى عليه من ضرب وغيره . النساء تسبح : تعجباً مما فعلت به .

(٢٨) المصدر نفسه : ٤١–٤٢ . تصبّر عينيها : تجعل حولهما الصبر كدهان ، وهو نوع من العلاج استعمله العرب . تعصّب رأسها : تشدّه استعداداً للعراك (وهي علامة الشر عنده) الشعاليل : الفُرق من الناس وغيرهم والواحد شعلول ، وأظنه يريد شعرها متفرق أشعث منكوش ، كناز : مكتنزة ، عفرناة : متمكنة قوية . تبصّر بالعصا : أي انظر كيف اضربه بالعصا في أصل أذنه . المسلحب : المنبطح . الضُبعان : ذكر الضبع . تقعر : انقلب .

(٢٩) المصدر نفسه : ٤٣ . مطّرَح : مُبعَد ، أي سُباب وقذف بالحجارة من بعيد .

(٣٠) الحماسة البصرية : ٢/ ٣١٠ . الأشباه والنظائر : ٢/ ٢٨٨ . الوقذ : شدة الضرب ، حزَّ : قطع سفع النار : لفح لهيبها ، المدلّه : ذاهب العقل ، يصدف عنها : ينصرف عنها .

(٣١) خزانة الأدب : ٢/ ٢٣٢ . القلى : البغض والحقد .

(٣٢) نثر الدر في المحاضرات : ٣/ ٢١٨ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

(٣٣) أمالي القالي : ١/ ١٥٠ ، شرح شواهد المغني : ٢/ ٦٠٧ الدهسة : لون كلون الرمال يعلوه أدنى سواد ، سجوف : شحم، كوماء : عظيمة السنام ، ناقة ناوية : سمينة ، صفوف : تصفّ بين رجليها ن يريد هادئة عند الحلب ، هي صفة حسنة ، سابح: فرس سريع ، نهد : موتفع . أشمّ : عال ، المنكب : رأس العضد والكتف ، منيف : مرتفع عظيم ، اللقحة : النعجة الحلوب .

(٣٤) ديوان الحطيئة : ٢٨٢ ، والسمادير : الغشاوة على العين من تعب وإرهاق .

(٣٥) شرح شواهد المغني : ٢/ ٦٢٧ ، خزانة الأدب : ١/ ٣٧٦ . تئط : صوت جوفها من الجوع ، ألتبط : أسعى وأضطرب في الأرض ، إلتبط في أمره : تحيّر ، الإقط : اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

(٣٦) سمط اللآلي : ٢٨٦٥٠ .

(٣٧) شرح شافية ابن الحاجب : ٩٩/٤ . العرس : يريد طعام الوليمة ، زلحلحات : قصعة منبسطة لاقعر لها ، مائرات : نافذات .

(٣٨) معجم الشعراء : ٧٧ ، المفضليات : ٢/ ٧٨١ ، شعراء أمويون : ١٦/٢ غمرة : أسم العنز ، الضافي : التام الواسع ، المقلص : المرتفع ، الزخاري : الكثير اللحم . المجالح : الذي يجتلح الشجر أي يقشره . ليلة رجيبة : أراد من ليالي الشتاء ، أرواقها : نواحيها ، الصفاقان : ما اكتنف الضرع من يمين وشمال ، مُبَدّ : الذي أبدّ فخذيه ، أي فرّق بينهما ، الغبوقة : سحابة الليل . القراوح : المستوي من الأرض ، الإرزام : الصوت ، المتح : غرف الماء من قعر البئر ، المعجم : المعضض ، الرّقّ : مارقّ من الأغصان .

(٣٩) سورة التوبة : (٩٧، و ٩٩) .

(٤٠) زهرة الربيع لما فيه من المقال البديع : ١٠٤ .

(٤١) الفكاهة عند العرب : ١٤٠ .

(٤٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : ٤/ ١٠٣ .

(٤٣) سورة ابراهيم : آية (٧) .

(٤٤) عيون الأخبار : ٢/ ٢٥٧ . قصص العرب : ٤/ ٤١٦ .

(٤٥) سورة الزلزلة : الآيات : (١ ، ٧ ، ٨) .

(٤٦) شعر عقيل بن علّفة : ٣٤٦ . ينظر الأغاني : ١٢/ ٣٠٤ . هرشى : هي ثنية في طريق مكة لها طريقان ، فكل من سلك واحداً منهما أفضى به الى موضع واحد . معجم البلدان : ٥/ ٣٩٧ .

(٤٧) أخبار الظراف والمتماجنين : ٩٣ .

(٤٨) الكامل في اللغة والأدب : ٢/ ١٩٤ . وتره : أخذ بثأره ، الرِحالة : ثوب يغشى بالجلد .

(٤٩) أشعار النساء : ١٣٣٠ . إهابها : ماتبقى من جلد وفضلات الحيوان حين يذبح ، الحسلان : جمع حسل وهو ولد الضب .

(٥٠) شرح أبيات سيبويه: ١/ ٤٠٤ . القارص : اللاذع ، محض : لا يخلط يغيره فرض: تمر ، المرضّ : اللبن الحامض الخاثر، سمق : طال .

المصادر :

– القرآن الكريم .

– أخبار الظراف والمتماجنين ، ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي ، ت: ٥٩٧ ، المكتبة الحيدرية ، ط ٢، ١٩٦٧ .

– الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين ، الخالديان : أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي ، ت: ٣٨٠هـ ، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي ت: ٣٧١هـ تحقيق : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

– أشعار النساء ، المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران ت: ٣٨٤هـ ، تحقيق : سامي مكي العاني وهلال ناجي ، دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٦ .

– الأغاني ، أبو الفرج الاصفهاني ت: ٣٥٦هـ ، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٣ .

– أمالي القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي ت: ٣٥٦هـ ، دار الفكر ، بيروت .

– البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي ت: ٤١٤هـ ، تحقيق : داوود القاضي وإبراهيم الكيلاني ، مطبعة الإنشاء ، ١٩٦٤ .

– الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسين البصري ، ت: ٦٥٦هـ تحقيق : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

– الحماسة الصغرى (كتاب الوحشيات) لأبي تمام ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

– الحيوان ، الجاحظ ، عمرو بن بحر، ت : ٢٥٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025

– خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، ت: ١٠٩٣هـ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ،مطبعة المدني (د. ت)

– ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤ .

– ديوان جران العود النميري ، تحقيق : نوري حمودي القيسي ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٣ .

– ديوان جميل بثينة ، تحقيق :ابراهيم جزيني ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٨

– ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت ، تحقيق : عثمان امين طه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

– ديوان حُميد بن ثور الهلالي ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

– ديوان المجنون ، تحقيق : عبد الستار فراج ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٠د. ت) .

– رسائل الجاحظ ، عمرو بن بحر ، ت: ٢٥٥ هـ ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

– زهر الربيع لما فيه من المقال البديع ، نعمة الله الجزايري ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط٤ ، ١٩٥٥ .

– سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبو عبيد البكري ، ت: ٤٨٧ هـ ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٣٦ .

– شرح أبيات سيبويه ، أبو سعيد السيرافي ، ت: ٣٦٨ هـ ، تحقيق محمد علي سلطاني ، مطبعة الحجاز ، دمشق ، ١٩٧٦.

– شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، ت : ٥٠٢ هـ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت (د. ت)

– شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد ، ت: ٤٢١ هـ ، تحقيق : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٣.

– شرح شافية ابن الحاجب ، محمد بن الحسن الاستراباذي ،ت: ٦٨٦ هـ ، تحقيق : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ .

– شرح شواهد المغني ، جلال الدين السيوطي ، ت: ٩١١ هـ ، لجنة التراث العربي ، دمشق ، ١٩٦٦ .

– شعراء أمويون (القسم الثالث) نوري حمودي القيسي ، بغداد ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٢ .

– الضحك ، هنري برجسون ، ترجمة سامي الدروبي ، وعبد الله عبد الدايم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

– عيون الأخبار ، ابن قتيبة الدينوري ، ت: ٢٧٦ هـ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب للتأليف والنشر ، (د. ت) .

– الفكاهة عند العرب ، أنيس فريحة ، بيروت ، مكتبة رأس ، ١٩٦٢ .

– قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي ، عبد الله عبد الجبار ، و محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

– الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت: ٢٨٥ هـ ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر، القاهرة (د. ت)

– لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت: ٧١١ هـ ، الدار المصرية ، القاهرة ١٣٠٠ هـ .

– مجمع الأمثال ، الميداني النيسابوري ، ت: ٥١٨هـ ، تحقيق : حسين زرزور ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، ط٢ ، ١٩٩٩ .

– معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ت: ٦٢٦ هـ ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥

– معجم الشعراء ، المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران ، ت: ٣٨٤ هـ ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء التراث العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

– المفضليات (شرح اختيارات المفضل) الخطيب التبريزي ، تحقيق : فخر الدين قباوة دمشق ، ١٩٧٢ .

– نثر الدّر في المحاضرات ، ابن أبي سعد منصور بن الحسين الرازي ، ت : ٤٢١هـ تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ .

الدوريات :

– شعر عقيل بن عُلّفة ، جمع وتحقيق : عبد الحسين المبارك ، مجلة المورد ، مجلد ٧ ، عدد ، ٣ ، ١٩٧٨ .

– الفكاهة في الأدب العباسي ، وديعة طه النجم ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ١٣ ، عدد ٣ ، ١٩٨٢ .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ٢ – المجلد 50 – حزيران لسنة 2025